

إعادة اختراع الويكيليكس المستمرة الإعلام والسلطة وتبديل شكل الاحتجاج

ماكسيمليان فورت

Maximilian C. Forte

"يُعصى على الصحافيين العاملين مع جوليان أسانج Julian Assange فهمه، لأنه يرفض الرضوخ للأدوار التي يتوقعون منه أن يؤديها. فهو مصدر تسريب متى ناسبه الأمر. وهو يتقنع بالسخرية كناشر أو نقابي صحفي حين يكون ذلك لمصلحته. ومثله مثل وكيل علاقات عامة، فإنه يتلاعب بالمؤسسات الصحفية لمضاعفة الدعاية لـ"زبائنه". وحين يجد نفسه مضطراً، يهدد بإلقاء قنابل إعلامية وكأنه عميل مشاكس. إنه مدهن ماكر لا يهدأ، ومفاوض قلب يُعنى دائماً بتغيير بنود الاتفاق."¹

هذا الاقتباس الاستهلاكي برهان قاطع على مقولتي المجملّة أدناه. يُعنون كاتب هذا الاقتباس مقالته "الوجوه الألف" لجوليان أسانج ويسمّي أسانج "سيدّ تبديل الشكل". وليس بالضرورة أن يتفق هذان التحديدان – الوجوه الكثر وتبديل الشكل –.

فمن ناحية أولى، توحى "الوجوه الكثر" بالخداع والتناقض وغياب الهوية والانكسار أمام النظرات العدائية. ومن ناحية ثانية، يعيد "سيدّ تبديل الشكل" إلى الأذهان، من وجهة أنثروبولوجية بحتة، وظيفة الكاهن والساحر والمخادع، أي من هو قادر على السيطرة تماماً على نفسه وعلى غيره، فيما هو يبرع في خلق أوهام تعتبرها الضحايا حقائق. وكلاهما قادر على إشاعة أحكام خلقية سلبية في صفوف الرأي العام الغربي السائد. ويبدو لي أن الطريقة الوحيدة التي يعمل فيها هذان الوصفان معاً بإيجابية، أي "الوجوه الألف" و"سيدّ تبديل الشكل"، هي ألا نفكر بالوثائق المسرّبة على أنه موضوع أو حدث، بل على أنه كما يسمّيه كلاي شيركي Clay Shirky "مقدرة"² أو على أنها "جذمور" rhizome ، أي إنها تنعم بامتدادات متشعبة لا مركز ظاهرياً لها³.

ليس غرضي ولا رغبتني تحليل نفسية جوليان أسانج أو الانتقاص من حكاية الوثائق المسرّبة وتحويل الصحافة إلى تفاصيل شخصية ترد في وسائل الإعلام، وبواسطة أولئك الراغبين في تدمير الويكيليكس. وإنما يكمن غرضي في إلقاء الضوء على البدايات الإيجابية لفهم كيف يمكن استيعاب الوثائق المسرّبة على أنها صحافة جديدة وشكل جديد للحراك، وأن هذا الموقف يعني وبالضرورة قيامنا بصوغ تحولاتنا التحليلية. فلو أننا على سبيل المثال نقول بأن الصحافة أخذت في تغيير موقعها،

¹ Jack Shafer, 'The 1,000 Faces of Julian Assange: Vanity Fair portrays the WikiLeaks founder as a shrewd negotiator and master shape-shifter,' *Slate* January 6, 2011. <http://www.slate.com/id/2280157/pagnum/all/#p2>

² Barton Gellman, 'Julian Assange,' *Time* December 15, 2010. http://www.time.com/time/specials/packages/printout/0,29239,2036683_2037118_2037146,00.html

³ Gastón Cordillo, 'Wikileaks as Global Rhizome,' *Space and Politics* December 5, 2010.

فهذا معناه أن الموضوع – الصحافة – يغيّر موقعه، فيظهرها صحافة متعدّدة متى نظرنا إلى صورة الموضوع التي تظهر جميع "الأمكنة" التي احتلتها في أوقات مختلفة.

ولكن يبقى القول من ناحية أخرى أن "الوثائق المسرّبة هي صحافة" غير كافٍ؛ إذ لا بد من التساؤل إلى أية صحافة تنتمي؟ ليست الوثائق المسرّبة وحدها فقط التي يُعاد اختراعها على الدوام؛ وإنما الصحافة نفسها أيضاً، بمصالحها المكتسبة المتعدّدة الفاعلة في إعادة تعريف كلّ منها، حتى لو إنها تكتسب مصالح في كل منها. ولا شك أن حكومة الولايات المتحدة في إعادة تعريف كلّ منها، حتى لو المسرّبة واعتبارها بأنها ليست صحافة، تساعد في صوغ مقولة الادعاء، بأنه لا يجب على القوانين نفسها التي تحمي الصحافة، أن تحمي الوثائق المسرّبة. ومع ذلك فإن هذا يعني أن حكومة الولايات المتحدة، وبصورة خاصة وزارة العدل، تعمل وفقاً لمفهوم ثابت وجوهري للصحافة – إلا إن هذا أيضاً لا يفيد. فوزارة العدل الأميركية تريد هدفاً ثابتاً – ونحن لسنا مضطرين إلى مساعدتها في تحقيق غرضها ولنا في حاجة إلى جعل مفاهيمنا مقيّدة بتلك التي تخصّ وزارة العدل الأميركية.

يعدّ موقع ويكيليكس مصدره المجهولة أن تحظى تسريباتها "بالزخم السياسي الأقصى". وعملياً، يبدو ذلك مرادفاً لانتشار واضح في وسائط الإعلام الجماهيرية التي غالباً ما تكون آثارها السياسية غير مباشرة، وربما غير مقصودة، يصعب رصدها ويعتريها الغموض. وقد اختار موقع ويكيليكس مسارين متميزين لتحقيق نجاح إعلامي أكبر يترك الأثر المنشود: أولهما من خلال صوغه تحالفات عمل شتى مع عدد من وسائل الإعلام السائدة (معظمها في أوروبا وشمال أميركا)، وثانيهما عبر خروج جوليان أسانج على الملأ واصفاً نفسه إنه "مانعة الصواعق" في المنظمة. ويقول عدد كبير من مؤيدي الوثائق المسرّبة أن موقع ويكيليكس يحتاج إلى وجه إعلامي علني يستنهض الدعم للمنظمة ويلفت النظر إلى عملها – "نجم كنجوم الروك يملك حقائق منغصّة"⁴. إلا إن المشكلة تنشأ عندما يصبح الوجه الإعلامي الجزء الأكبر من الحكاية، إذ يطغى أحياناً على العمل الذي أنجزه موقع الوكيليكس، فيمسي هدفاً ينقضّ عليه أعداؤه. وقد تتحوّل أحياناً الضغوط التي تمارس على الوجه الإعلامي إلى ضغوط سرعان ما تعيد تعريف طبيعة المنظمة.

تطرح هذه الورقة الأسئلة التالية وتجب عنها:

كيف تبدو البنية السياسية لموقع ويكيليكس، وهل يمكن للمرء أن يعتبرها تحوّلًا من حالة إلى أخرى؟ ما هي العواقب السياسية والتنظيمية لهذا الظهور العلني والتنسيق الرسمي مع المؤسسات الإعلامية حيث تثار سياسات الاحتجاج والنشاط الرقمي والمواجهة مع الإمبراطورية؟ هل تعزّز موقع ويكيليكس وفقاً لهاتين الإستراتيجيتين الإعلاميتين، أم أنه قضى على مصداقيته (كمؤسسة، وليس بالضرورة كظاهرة أو مقدرة يمكن للأخرين ممارستها)؟ وفي انتهاجه العمل مع الإعلام القائم – بما في ذلك وسائل الإعلام التي غالباً ما يُوجّه إليها النقد لمواكبتها الناعمة لمطالبات الدولة

⁴ Gloria Goodale, 'WikiLeaks: Is there a future for the website without Julian Assange?' *Christian Science Monitor* February 24, 2011. <http://www.csmonitor.com/USA/2011/0224/WikiLeaks-Is-there-a-future-for-the-website-without-Julian-Assange>

المهيمنة – وفي محاولته ترسيخ شهرة أسانج، هل تمكّن موقع ويكيليكس من الدنو أكثر من أهدافه المعلنة التي تسعى إلى تحقيق العدالة والانفتاح؟

هل عرض موقع ويكيليكس نفسه لمخاطر اكتساب الصفات الرسمية والبيروقراطية والنخبوية؟ وهل أدى كل من خروجه العلني إلى دائرة الضوء وتطويره شخصية خاصة به وعمله مع شركاء في المؤسسة، إلى وضع موقع ويكيليكس في مواجهة مباشرة مع سلطة لا تقوى على الصمود في وجه رياح التغيير؟ ما هي أهمية تأسيس وحدة الجزيرة للشفافية، وهل هذا يبهر مقولة جون يونغ John Young [مؤسس موقع كريبتوم Cryptome لحفظ الوثائق والمعلومات السرية، وقد أسسه سنة 1996 باحثون مستقلون دفاعاً عن حرية التعبير] بأن ويكيليكس "مات"؟ وهل إن ممارسة الصحافة تبدّلت جوهرياً، وربما إلى الأبد، بسبب الوثائق المسرّبة؟

نتابع هذه الأسئلة برصد البنية السياسية المتغيّرة للوثائق المسرّبة في ضوء ارتباطها بالإعلام السائد، وسعيها إلى وسائل إعلام أكثر انتشاراً؛ والتركيز على تفاصيل العلاقات بين الوثائق المسرّبة ووسائل الإعلام الجماهيرية السائدة؛ والدراسة النقدية لاستراتيجيات الوثائق المسرّبة الجديدة بعيداً عن الاستعانة بمجموعة كبيرة من المصادر الخارجية، وذلك من دون تبديدها وإبقائها مجهولة الهوية؛ وتناول الأثر السياسي لموقع ويكيليكس على شركائه في وسائل الإعلام؛ وتقييم منافع الظهور الإعلامي المدوّي لجوليان أسانج؛ ومراجعة أهداف ويكيليكس الساعية لتحقيق الشفافية والانفتاح والعدالة؛ وأخيراً التفكير في الاعتبارات النظرية والعملية لحركة متجددة وموسّعة باتجاه صحافة المصادر المفتوحة.

والجدير بالذكر، إن كاتب هذه الورقة نفسه ناشط؛ صحيح إنه مؤيد من بعيد للوثائق المسرّبة، إلا إنه يسجّل تحفظاته النقدية. ويكمن أحد الدروس المستفادة على مدى السنة المنصرمة، في أنه لا يبدو هناك استنتاج واحد سالم متعلق بالوثائق المسرّبة قد يخلص المرء إليه، ويُكتب له الاستدامة.

تتناول هذه الورقة استراتيجيات وسائل الإعلام ذات الحدين (الساعية إلى دعاية أوسع من خلال إرساء شراكة مع وسائل الإعلام) كمحور في تحوّل الوثائق المسرّبة إذ هي تواجه سلطة الدولة. وهناك مقولة مركزية هنا مفادها أن الوثائق المسرّبة نفسها قد تبدلت خلال النزاع المباشر والرسمي، ربما أكثر من كونها عامل تغيّر في حد ذاتها. فلو استطعنا التغاضي عن النظريات القائلة بأن "المعلومات سلطة"، لوجدنا أنفسنا أكثر استعداداً لفهم عواقب النشاط السياسي الذي يستند إلى معلومات الشبكة العنكبوتية. هل إن البنية السياسية للوثائق المسرّبة ناتجة عن علاقتها بالإعلام السائد، أو إنها تنتج نفسها هذه العلاقة؟ إلا إنه لا بد للوثائق المسرّبة أن تفصح رسمياً أيضاً عن أهدافها وأساليبها بصورة واضحة لا لبس فيها، في أي وقت. وإضافة إلى خطر تعميم ما هو سائد، هناك خطر آخر يتمثل في كون الوقائع المسرّبة قد يصبح، وبصورة متنامية، أكثر تمثيلاً لرمز الهوس الغربي بالحلول التكنولوجية، وإعلاء شأن المهارة وإظهار الإذعان المفرط للبيانات وتحويل المعلومات إلى مجرد مواضيع، على حساب المعنى والممارسة العملية.

البنية السياسية المتغيرة للوثائق المسرّبة

صحيح إنه ليس من السهل بمكان إثبات أن الوثائق المسرّبة قد حققت "حالة ثابتة" جديدة، أو أن سياق تحوّلها نفسها كان مستقيماً ولا رجعة فيه، إلا إنه طرأت تحولات واضحة أعرضها على النحو التالي:

1. في مرحلة ما كانت الوثائق المسرّبة مشتتة ومجهولة الهوية – إلا إنه بعد نشر شريط فيديو يظهر جريمة الجنود الأميركيين في بغداد في نيسان/أبريل 2010 (يعرف بشريط "جريمة لجانبية")، سطع سريعاً نجم داعيته الرئيس جوليان أسانج على المستوى الدولي كشخص يجذب الاهتمام كونه التجسيد المقصود للوثائق المسرّبة. وهكذا سجّل التحول الأول في اكتساب الوثائق المسرّبة شخصية عامة بارزة، جسّدت إلى حد ما المنظمة ومنحتها صوتاً ووجهاً إنسانياً آخر، غير ملايين الوثائق المنشورة على الشبكة العنكبوتية، والتي لم تحل يوماً قبل نيسان/أبريل 2010 العناوين الرئيسية للصحف حول العالم، كما لم تكن لتبقي اهتمام الناس مشدوداً إليها طيلة الوقت. يستطيع المرء أن يحدّد تماماً "ظهور" أسانج العلني: حدث ذلك يوم 12 نيسان/أبريل 2010 لدى إطلالته في البرنامج الأميركي الساخر *The Colbert Report*⁵.

2. مع إطلاق شريط فيديو يظهر جريمة الجنود الأميركيين في بغداد، اتخذ أسانج موقفاً معادياً للحرب، لا لبس فيه، إذ قال:

"...ما هي الحرب؟ حسناً هذه هي الحقيقة. ينحط شأن الجنود في الحرب. وهذا بعض ما يظهره هذا الشريط، إذ تعرّضت شخصية هؤلاء الجنود الشبان الذين يحلقون في الطائرة للإفساد بتأثير سياق الحرب. يتوجّب علينا أن نشفق على هؤلاء الجنود الذين يذهبون إلى الحرب، ولكن علينا أن نفهم أن تلك نتيجة حتمية لإرسالهم إلى الحرب وأن نتوقف عن إرسالهم⁶.

وفي مكان آخر يدّعي دانيال دومشيت – برغ *Daniel Domscheit-Berg*، وهو خبير سابق في الوثائق المسرّبة، إن أسانج أخبره ذات مرة: "أنا منشغل، إذ عليّ وضع حدّ لحربين". وهذا يعكس، في حال كان صحيحاً، موقف أسانج المبكر المعارض للحرب⁷.

ومع نشر مفكرة الحرب الأفغانية كان يمكن مسامحة المرء على اعتقاده أن أسانج إنما كان يقصد العمل ما في وسعه لوقف الحرب في أفغانستان. في مقابلة معه في مجلة دير شبيغل الألمانية، قال أسانج أن مفكرة الحرب الأفغانية "تلقي الضوء ساطعاً على وحشية الحرب اليومية وفضاعتها. وستغيّر هذه المحفوظات الرأي العام، كما من شأنها أن تغيّر أيضاً موقف صنّاع القرار السياسي

⁵ Greg Mitchell, 'The Great Debate: Stephen Colbert vs. Julian Assange,' *The Nation* January 31, 2011. <http://www.thenation.com/blog/158162/great-debate-stephen-colbert-vs-julian-assange>

⁶ Greg Mitchell, 'The Great Debate: Stephen Colbert vs. Julian Assange,' *The Nation* January 31, 2011. <http://www.thenation.com/blog/158162/great-debate-stephen-colbert-vs-julian-assange>

⁷ Sarah Ellison, 'The Man Who Spilled the Secrets,' *Vanity Fair* February 2011. <http://www.vanityfair.com/politics/features/2011/02/the-guardian-201102?currentPage=all>

والدبلوماسي." وأضاف "هناك مزاج بإنهاء الحرب في أفغانستان. وهذه المعلومات غير كافية لوقف الحرب، لكنها ستبذل الإرادة السياسية بصورة ملحوظة"⁸. وفي وقت لاحق، ألحّ أسانج على أنه ليس معارضاً للحرب: "قال الناس أنني معادٍ للحرب. لا بد لي أن أسجّل ما يلي: لست معارضاً للحرب. فأحياناً تحتاج الأمم لشنّ الحروب، وهناك حروب عادلة"⁹. ومع ذلك فمن الضروري الإشارة إلى أن قوله ذلك جاء فقط في أعقاب وصف إدارة أوباما أسانج بأنه مناهض للحرب، موحية بأنه يفنقر إلى الحيادية (وفقاً لفهم تلك الإدارة للصحافي النموذجي) – وذلك كما جاء على لسان مسؤول حكومي: "ليست الوثائق المسربة مصدر أخبار موضوعية، لكنها هي بالأحرى مؤسسة تعارض السياسة الأميركية في أفغانستان"¹⁰ ومن الأهمية بمكان، الإشارة إلى إن تصويب أسانج الجلي لم يصدر إلا بعد إعلان الولايات المتحدة إنها شرعت في القيام بتحقيق جنائي في نطاق الوثائق المسربة¹¹.

3. متباهياً بدوره في شبكة سابقة أطلق عليها اسم "هدّامون عالميون"، دأب أسانج على الاستشهاد بمثل الجمهوريين الأميركيين، ما أكسبه بعض الأصدقاء في صفوف اليمين الجمهوري واليمين الليبرالي في الولايات المتحدة. إلا إن أسانج بات الآن يرفض أي ميول عقائدية، في خطوة منه تبدو وكأنها تهدف للحفاظ على طور التعريف مفتوحاً أمام تعديلات لاحقة: "كان أسانج قد أعلن أنه لا ينتمي إلى اليمين ولا إلى اليسار – فيما بقي أعداؤه على الدوام يسعون لتصنيفه بغرض تفويض مؤسسته"¹².

4. وصف أسانج الوثائق المسربة بداية بأنها مجموعة صغيرة من الناشطين، ثم تكلم عنها لاحقاً على أنها مؤسسة إعلامية – في حين أن حكومة الولايات المتحدة، وللمرة الثانية على التوالي، وصفتها بأنها قد تكون أي شيء، سوى مؤسسة صحافية. وكان أسانج نفسه في ما مضى قد باعد نفسه والعمل الذي تقوم به الوثائق المسربة عن عمل الصحافيين. فأعلن مرة: "نحن ننشر مواداً خاماً من دون تحليل أو تفسير. بعدها يترك للصحافيين والباحثين والقراء أمر مراجعة تلك المواد"¹³. وفي مكان آخر قال: "نعد القراء بأننا سوف ننشر المواد المصدر كاملة. هي متوافرة لهم ليحللوها ويقوموها"¹⁴. وتكمن المفارقة الساخرة في أنه بدفاعه عن نفسه في وجه التهم القائلة بتحريره المواد كشريط الفيديو الذي يظهر جريمة ارتكبتها الجنود الأميركيون في بغداد، وهذا تقليد يتبعه الصحافيون من مقدمي البرامج

⁸ John Goetz and Marcel Rosenbach, 'WikiLeaks Founder Julian Assange on the "War Logs": "I Enjoy Crushing Bastards," *Der Spiegel* July 26, 2010. <http://www.spiegel.de/international/world/0,1518,708518,00.html>

⁹ Julian Assange, 'The truth will always win,' *The Australian* December 7, 2010. <http://blogs.theaustralian.news.com.au/mediadiary/index.php/australianmedia/comments/julian1>

¹⁰ Mike Allen, 'W.H. condemns 'irresponsible' leaks, dismisses stories,' *Politico* July 26, 2010. <http://www.politico.com/news/stories/0710/40204.html>

¹¹ Army Sgt. 1st Class Michael J. Carden, 'Pentagon Launches Probe into Document Leaks,' *U.S. Department of Defense/American Forces Press Service* July 27, 2010. <http://www.defense.gov/news/newsarticle.aspx?id=60187>

¹² Stephen Moss, 'Julian Assange: the whistleblower—Julian Assange, founder of WikiLeaks, may just represent the future of news reporting, but he's not a journalist,' *The Guardian* July 14, 2010. <http://www.guardian.co.uk/media/2010/jul/14/julian-assange-whistleblower-wikileaks>

¹³ Swedes Protect WikiLeaks, Hire Assange as Columnist,' *Rixstep*. <http://rixstep.com/1/20100814,00.shtml>

¹⁴ Greg Mitchell, 'The Great Debate: Stephen Colbert vs. Julian Assange,' *The Nation* January 31, 2011. <http://www.thenation.com/blog/158162/great-debate-stephen-colbert-vs-julian-assange>

التلفزيونية بغرض الحفاظ على الحياد، ينادى أسانج بنفسه أكثر عن الصحافيين (كون الصحافيين يحررون ويسردون ويحللون، إضافة إلى مهام أخرى).

تجدر الملاحظة إلى إن موقع ويكيليكس أساساً لم يعرف نفسه على أنه مؤسسة إعلامية. إذ إن التعريف الأول كان كما يلي، وقد صدر حينها صادراً على شكل توجيه: "يجب وصف الوثائق المسربة، ووفقاً للسياق، على إنها "جماعة حكومية منفتحة" أو "جماعة تناهض الفساد"، أو "جماعة تسعى للشفافية"، أو "موقع يبلغ عن الانتهاكات"¹⁵. وإضافة إلى ذلك وصف الموقع نفسه على النحو التالي: "جذورنا ضاربة في المجموعات المعارضة، وينصب اهتمامنا على الأنظمة المستبدّة غير الغربية"¹⁶ وعرف ويكيليكس نفسه أيضاً على أنه "خدمة عامة متعدّدة الاختصاصات، أنشئت لتحمي المبلّغين عن الانتهاكات"¹⁷ وكان أسانج في ما مضى قد وصف ويكيليكس على أنه "مجموعة صغيرة من الناشطين"،¹⁸ وعلى أنه "منظمة دولية" تتناول "المشاكل الدولية"¹⁹. وعرف أسانج نفسه على أنه "ناشط إعلامي"²⁰. وبإقراره ذلك بنفسه يقول عنه أحد الكتاب أنه "هو وعصبة حلفائه.. يحدّدون طبيعة الويكيليكس كما تتكشف لهم إذ هم يمضون في بحثهم. هل هذه حقاً صحافة، أم نشاط سياسي؟"²¹. وكان روب غونغريج Rop Gonggrijp الذي عمل مع ويكيليكس في آيسلندة قد أخبر مجلة النيويوركريك: "نحن لسنا الصحافة" مضيفاً أنه يعتبر الويكيليكس "مجموعة مناصرة تدافع عن المصادر"²². أما الآن، فإن الويكيليكس يعرف نفسه على موقعه الجديد "اللا-ويكي" [والويكي هو موقع إلكتروني يتيح للمتصفح والمصفحات إضافة مواد وتعديلها من دون قيود] على أنه مجرد منظمة إعلامية تتعاطى الصحافة: "جمعت الوثائق المسربة بين تقنيات أمن عالية إلى جانب الصحافة والمبادئ الخلقية. وعلى غرار المصادر الإعلامية الأخرى التي تتعاطى الصحافة الاستقصائية... حين ترد المعلومات، يحل صحافيينا المواد ويتأكدون منها ويكتبون قطعة إخبارية عنها". وفي الواقع، تتناول صفحة شرح موقع الوقائع المسربة بأكملها، جميع أعمالها على أنها منظمة إخبارية"²³.

¹⁵ Dave Gilson, 'WikiLeaks Gets A Facelift: The whistleblower site's self-imposed hibernation is over,' *Mother Jones* May 19, 2010. <http://motherjones.com/mojo/2010/05/wikileaks-assange-returns>

¹⁶ أنظر إلى نسخة أقدم من "عن صفحة ويكيليكس" على الرابط التالي <http://web.archive.org/web/20080328010014/www.wikileaks.org/wiki/Wikileaks:About>.

¹⁷ See the Wikileaks website at <http://wikileaks.ch/About.html>.

¹⁸ استمع إلى البيان الافتتاحي لأسانج في الفيلم الوثائقي "متمردو الويكي" <http://www.youtube.com/watch?v=z9xrO2Ch4Co>

¹⁹ Nikki Barrowclough, 'Keeper of secrets,' *The Age* May 22, 2010. <http://www.theage.com.au/national/keeper-of-secrets-20100521-w230.html>

²⁰ Stephen Moss, 'Julian Assange: the whistleblower—Julian Assange, founder of WikiLeaks, may just represent the future of news reporting, but he's not a journalist,' *The Guardian* July 14, 2010.

<http://www.guardian.co.uk/media/2010/jul/14/julian-assange-whistleblower-wikileaks>

²¹ Nancy Scola, 'Julian Assange's Vision of a "Scientific Journalism",' *TechPresident* June 2, 2010.

<http://techpresident.com/blog-entry/julian-assanges-vision-%E2%80%98scientific-journalism%E2%80%9999>

²² Raffi Khatchadourian, 'No Secrets: Julian Assange's mission for total transparency,' *The New Yorker* June 7, 2010.

http://www.newyorker.com/reporting/2010/06/07/100607fa_fact_khatchadourian?currentPage=all

²³ أنظر موقع ويكيليكس على الرابط التالي <http://wikileaks.ch/About.html>.

ومع تغيير التعريف نفسه طرأت تغييرات في الموقع نفسه، بعيداً عن مفهوم الويكي التعاون. يتباهى موقع ويكيليكس بنفسه الآن على أنه أساس صحافة جديدة. وكما شرح أسانج: "صكّت الوقائع المسرّبة نوعاً جديداً من الصحافة: الصحافة العلمية. نحن نعمل مع وسائل إعلامية أخرى على تزويد الناس بالأخبار، ولكنها خطوة تسعى لإثبات إنها أخبار حقيقية أيضاً. تتيح لك الصحافة العلمية قراءة قصة إخبارية، ثم توفر لك النقر على الشبكة العنكبوتية لتصحّ الوثيقة الأصلية التي تعتمد عليها القصة. وعلى هذا النحو يمكنك أن تحكم بنفسك: هل القصة صحيحة؟ هل كان الصحفي صادقاً في نقلها؟ تحتاج المجتمعات الديمقراطية إلى إعلام قوي، والوثائق المسرّبة جزء من هذا الإعلام²⁴.

وبالطبع فإن هذا تصوّر مجتزأ للصحافة، إذ يوحي بأنها مكان تصدر عنه القصص الإخبارية انطلاقاً من الوثائق، وحيث العلم يعني إمكان التحقق وحيث الصحافة خلوّ من التحليل والتفسير. أنه تصوّر مختزل وإيجابي للصحافة، لكنه تصوّر غرضه منح الامتياز لمن يوفّر الوثائق.

5. وعن التزامه بالشفافية، أقرّ

أسانج بأنه يحتفظ بمجموعة من الوثائق الحساسة واعدأ بالإفراج عن وثائق يفوق عددها تلك التي أصدرها فعلياً. صحيح أن أسانج شجب التبرير الناعم لوزارة الدفاع الأميركية لقتلها أبرياء، إلا إنه يلجأ إلى استعادة خطابها الفاتر إياه حين يتحدّث عن "تخفيف الأذى". وقد نجم جزء كبير من هذا التركيز، عن العمل مع شركاء إعلاميين معترف بكفاءتهم.

6. ولدى التصريح عن الحاجة إلى

وجه إعلامي علني للوثائق المسرّبة، قرّر أسانج أنه وحده مؤهل لذلك، إلا إن هناك الآن تراجعاً عن هذا الموقف عبر تكليف شركة علاقات عامة تمثل موقع الوثائق المسرّبة، فيما يقوم المحامون أنفسهم بالإدلاء بالكلام المطلوب. ومع ذلك فإن الابتعاد عن الأضواء لهو أيضاً أمر مبطن، إذ إن أسانج منصرف إلى وضع كتاب وإعداد سيرة عنه تصدر قريباً، وهناك حديث عن فيلم عن حياته.

7. صحيح أن أسانج تبنّى في البدء

فكرة الاستعانة بمجموعة كبيرة من المصادر الخارجية إضافة إلى فكرة الشراكة، وذلك عندما كان موقع ويكيليكس لا يزال "ويكي" يتيح للأخرين الإضافة أو التعديل، إلا إنه سرعان ما هاجم التعاون والشراكة مستعملاً أقسى التعابير الممكنة معتبرها "جميعاً هراء". لكنه جوبه بدفق من هجمات شرسة تسعى إلى حرمانه الخدمة، لم يكن أمام موقع ويكيليكس سوى اللجوء إلى أكثر من 1700 متطوّع وقرّوا له فضاءهم لاستضافته، وهذا حلّ يعتمد بوضوح على الاستعانة بمجموعة كبيرة من المصادر الخارجية. وعلاوة على ذلك، كلف موقع ويكيليكس شركة علاقات عامة، اعتمدت إستراتيجيتها في العلاقات العامة على الاستعانة

²⁴ Julian Assange, 'The truth will always win,' *The Australian* December 7, 2010.

<http://blogs.theaustralian.news.com.au/mediadiary/index.php/australianmedia/comments/julian1>

بمجموعة كبيرة من المصادر الخارجية، وتستند إلى المبادرة المستقلة لمؤيدين متفانين يعملون من دون توجيه أو مساعدة من موقع ويكيليكس.

وتجدر الإشارة إلى أن الاصطدام مع الإمبراطورية كان مكلفاً لويكيليكس كمنظمة، وإن كان شركاؤها في الإعلام قد استفادوا من أسباق صحافية شتى، فيما احتدم النقاش العام بتأثير تسريبات الويكيليكس. ولدى مقارنة آب/أغسطس 2010 بأب/أغسطس 2009، يبدو واضحاً أن مفكرة حرب أفغانستان الصادرة عن الوثائق المسربة ساعدت على جعل النقاش بشأن الحرب في أفغانستان يتصدّر الصفحات الأولى لصحف الولايات المتحدة، بعد أن كانت قد غابت عنها تماماً لوقت طويل.

الوثائق المسربة والاستعانة بمجموعة كبيرة من المصادر الخارجية والإعلام السائد

يجسد أحد التحولات العارمة التي أصابت الوثائق المسربة الاستعانة عن الاستعانة بمجموعة كبيرة من المصادر الخارجية، والتي كانت تمهيداً مباشراً لعمله مع الإعلام المتعارف عليه في أعقاب نشر شريط الفيديو الذي يظهر جريمة الجنود الأميركيين في بغداد. فقد كان من الصعب إقناع أسانج حتى القول إنه كان هناك من تغيير مع أن محتوى شروحه يؤكد ذلك. وفي ندوة دعي إليها في بيركلي²⁵ سئل أسانج: "ترتبط المسألة بالتحول الذي طرأ على ويكيليكس إذ تم الانتقال من مجرد موقع لنشر المواد بعد الاستعانة بمجموعة كبيرة من المصادر الخارجية وقيام الناس بتفسيرها، إلى موقع يعمل على تفسيرها فعلياً. فهل هذا تبدل؟". وعن ذلك أجاب أسانج:

"لا لم يكن هناك تبدل على الإطلاق. مع أنه بالطبع، كنا نأمل ذلك في البداية، لأننا كنا نمتلك مواد بأعداد هائلة تفوق قدرتنا على الفرز، فكنا لو اكتفينا بنشرها، ما كان على الناس سوى أن يلخصوها بأنفسهم. إلا إن ذلك لم يحدث، وهو أمر يثير الاستغراب.

كانت فكرتنا المبدئية – والتي لم توضع موضع التنفيذ – كانت فكرتنا المبدئية على هذا النحو: انظر إلى كل هؤلاء الناس يحررون الويكيبيديا. أنظر إلى كل ذلك الخليط الذي يغربلونه. وبالتأكيد لو أنك أعطيتهم وثيقة سرية جديدة عن انتهاكات حقوق الإنسان في الفالوجة، والتي لم يشاهدها العالم من قبل، إذ إنها كما تعلمون وثيقة سرية، فبالأكيد إن كل أولئك الناس المنشغلين بمقالات عن التاريخ والرياضيات وغيرهما، وإن كل أولئك المدونين المنكبين على تعميم الانتهاكات في العراق وأفغانستان

²⁵ 'Logan Symposium: WikiLeaks: Security Threat or Media Savior?', Berkeley Graduate School of Journalism, April 18, 2010. http://fora.tv/2010/04/18/Logan_Symposium_The_New_Initiatives

وفي بلدان أخرى إضافة إلى انتهاكات أخرى كارثية لحقوق الإنسان، والذين يتذمرون بأنهم قادرون على الردّ على النيويورك تايمز New York Times فقط، لأنه لا تتوافر لديهم مصادر خاصة بهم، هؤلاء بالتأكيد لا بد أن ينهضوا ويقدموا مصادر جديدة ويقومون بعمل ما.

"لا. كل هذا هراء. هذا كله كلام فارغ. وفي الواقع، يكتب الناس عادة عن أشياء (إن لم يكن ذلك جزءاً من مهنتهم) لأنهم يريدون عرض قيمهم على أترابهم الذين هم أيضاً يشاطرونهم القيم نفسها. وفي الحقيقة إنهم لا يقيمون وزناً للمادة تلك. هذا هو الواقع.

ومن الواضح إن أسانج يلجّ بشدّة على تبدّل في الإستراتيجية يؤدي إلى مضاعفة الأضواء المسلّطة على موقع ويكيليكس كمنظمة، من خلال امتلاكها شريكاً في وسائل الإعلام المتعارف عليها؛ ما يعني أيضاً التخلّي عن بعض القرارات مثل تلك المتعلقة بمسألة التنقيح المثيرة للجدل الشديد.

ولدى تعرّضه للنقد اللاذع من قبل مجموعات تنعم بمصالح شتى في ما يختصّ بغياب التحرير الواضح لمفكرة الحرب الأفغانية، إذ ظهرت أسماء مصادر عديدة في موقعها، مضت الوثائق المسرّبة إلى الطرف الأقصى المعاكس في وثائق الحرب العراقية. قال بيل كِلر Bill Keller من صحيفة النيويورك تايمز أن "الويكيليكس طبقت برنامجاً معلوماتياً لإنجاز نوع من التحرير الآلي على الموقع إذ تم إسقاط الأسماء (ما جعل الوثيقة في مجملها غير مقروءة)"²⁶. صحيح أن "منظمة إحصاء القتلى العراقيين" Iraqi Body Count كانت قد وافقت على التنقيح الذي أجراه موقع الوثائق المسرّبة إذ أسقط تقريباً جميع المعلومات التي تميّط اللثام عن هوية الأشخاص أينما كانوا، إلا إنها اعترفت بأن "مثل هذا التنقيح ليقصر عن التماهي مع مُثل الشفافية التي تتسم بها هكذا تسريبات"²⁷. وأشارت شبكة السي إن إن الأميركية CNN إلى أن الوثائق التي تنشرها وزارة الدفاع الأميركية بموجب قانون حرية المعلومات، والتي كان موقع ويكيليكس قد نشرها أيضاً، تبقى في بعض الحالات أكثر الوثائق إنباءً وتعبيراً. ومن ناحية أخرى، لاحظت شبكة السي إن إن ذلك في أحد تقاريرها الأخيرة – إن وزارة الدفاع الأميركية نفسها تكشف أكثر مما تكشفه الوثائق المسرّبة، وإن

²⁶ ²⁶ Bill Keller, 'Dealing With Assange and the WikiLeaks Secrets,' *The New York Times* January 26, 2011. <http://www.nytimes.com/2011/01/30/magazine/30Wikileaks-t.html?pagewanted=all>.

²⁷ 'Iraq War Logs: Context,' *Iraq Body Count*, <http://www.iraqbodycount.org/analysis/qa/warlogs/>.

موقع ويكيليكس نفسه يبدو معترّاً بذلك وهذا بادٍ في الكلام الذي تناقله عبر صفحته على موقع "تويتر Twitter"²⁸.

ومرة أخرى، يعتبر ذلك تحوّلاً حدث نتيجة لعداء حكومة الولايات المتحدة – وكما صاغته صحيفة النيويورك تايمز: "صحيح أن موقع ويكيليكس وجد نفسه عرضة لضغط شديد تمارسه عليه الولايات المتحدة وحكومات دول أخرى، إلا إنه كان أيضاً يتأكل داخلياً، ومردّ ذلك جزئياً إلى القرار بنشر الكثير من الوثائق الأفغانية من دون حذف أسماء المخبرين ما يعرّض حياتهم للخطر."²⁹

وكان موقع ويكيليكس قد شهد تحوّلاً مهماً خلال السنة الماضية تمثل في التغييرات التي طرأت على موقعه إذ لم يعد على الإطلاق موقعاً تعاونياً، بعد أن كان يعتبر حتى نهاية شهر أيار/مايو 2010 موقعاً موازياً لموقع ويكيبديا³⁰. ولا شك إن نشر شريط الفيديو الذي يظهر جريمة الجنود الأميركيين في بغداد كان نقطة محورية في هذا التحوّل، إذ جذب انتباه وسائل الإعلام السائدة أكثر من أي وقت مضى، ما مهدّ لموقع ويكيليكس ليؤسس على وجه السرعة شراكة عمل مع عدة روافد إعلامية معروفة. هذا ما أشير إليه، على أنه تعميم الوثائق المسرّبة ضمن الوسائل الإعلامية السائدة. ولم يستطع موقع ويكيليكس تصنّع اللامبالاة إزاء التهمة التي وجهتها له الولايات المتحدة متهمة إياه إنه منظمة إجرامية وإرهابية مكوّنة من متسلّلين hackers فوضويين مأجورين. ولم يكتف عندها بأن يصبح عدائياً، إذ وجد نفسه هجوماً، وألح أكثر من أي وقت مضى على أن موقع ويكيليكس هو منظمة إعلامية، وإنه تم تسريب وثائقها من داخل جهاز الأمن القومي الأميركي. وكما يقول إيفنجي موروزوف³¹ Evgeny Morozov، فقد قطع موقع ويكيليكس شوطاً بعيداً في تحوّله إلى منظمة "عقلانية" و"مسؤولة". ومع ذلك، فإن وزارة الخارجية الأميركية تتمسك بموقفها: "الويكيليكس ليس منظمة إعلامية."³²

وتجدر الإشارة إلى إن ارتباط الوثائق المسرّبة بالإعلام السائد لم يساعدها بالضرورة على اكتساب صبغة "مؤسسة إعلامية" بحسب تعريف وزارة الخارجية الأميركية. وبالفعل، فقد صرّح

²⁸ "WikiLeaks 'harm minimization' far stronger than that of the Pentagon," Wikileaks Twitter account, October 22, 2010. <http://twitter.com/wikileaks/status/28462035295>; Larry Shaughnessy, 'WikiLeaks redacted more information in latest documents release,' CNN October 22, 2010. <http://www.cnn.com/2010/US/10/22/wikileaks.editing/>

²⁹ 'The Iraq Archive: The Strands of a War,' *The New York Times* October 22, 2010. http://www.nytimes.com/2010/10/23/world/middleeast/23intro.html?_r=1

³⁰ David Kushner, 'Inside WikiLeaks' Leak Factory,' *Mother Jones* April 6, 2010. <http://motherjones.com/politics/2010/04/wikileaks-julian-assange-iraq-video>; archived Wikileaks website, 'Wikileaks: About,' <http://web.archive.org/web/20080328010014/www.wikileaks.org/wiki/Wikileaks:About>; Dave Gilson, 'WikiLeaks Gets A Facelift: The whistleblower site's self-imposed hibernation is over,' *Mother Jones* May 19, 2010. <http://motherjones.com/mojo/2010/05/wikileaks-assange-returns>.

³¹ Evgeny Morozov, 'Cyber guerrillas can help US,' *Financial Times* December 3, 2010. <http://www.ft.com/cms/s/0/d3dd7c40-ff15-11df-956b-00144feab49a.html#axzz176EfqCa6>

³² Philip J. Crowley, 'Daily Press Briefing,' U.S. Department of State December 2, 2010. <http://www.state.gov/r/pa/prs/dpb/2010/12/152291.htm>

بل كِلر Bill Keller من صحيفة النيويورك تايمز جهازاً قائلاً: "لطالما اعتبرنا أسانج مصدراً وليس شريكاً أو متعاوناً... وعلى مدى هذه التجربة عاملناه على أنه مصدر".³³

ومؤخراً، أدلت صحيفة الغارديان The Guardian، وهي شريك إعلامي آخر لموقع ويكيليكس بتصريحات مشابهة في كتاب جديد لديفيد لي David Leigh ولوك هاردنج Luke Harding حمل عنوان "الويكيليكس: داخل حرب جوليان أسانج على السرية":

يضطلع أسانج بأدوار ثلاثة، كونه المصدر والوسيط والناشر في آن معاً ما يضيفي بعض التباس على دوره.. صحيح إن أسانج كان بالتأكيد مصدرنا الرئيس للوثائق، إلا أنه بالطبع لم يكن مصدراً عادياً – فهو لم يكن المصدر الأصلي، وهو حتماً ليس مصدراً موثقاً. وفيما بعد، لم يعد المصدر الوحيد. فهو ليس سوى نمط جديد من الناشرين – الوسطاء – وأدى أحياناً دوراً غير مريح حاول من خلاله إحكام درجة من السيطرة على مواد المصدر (لا بل حاول ممارسة نوعاً من أنواع "الملكية"، واعتبرها ملكية كاملة إذ هدّد بالملاحقة القانونية بسبب فقدان الدخل). وكم كانت المفارقة مدعاة سخرية عندما أطلق موقع ويكيليكس تسريته الأولى، ما أثار غضب أسانج الشديد. وأصبحت القضايا الأخلاقية الناشئة عن هذه الحالة الجديدة للمحرر/ المصدر أكثر تعقيداً، إذ قيل لنا بأنه يترتب علينا توفير بعض الحماية لأسانج – كونه مصدراً – وذلك بعدم الخوض عميقاً في التهم الجنسية الموجهة إليه في السويد.³⁴

وكجزء من سياق إعادة اختراع الويكيليكس، أتى نأيه بنفسه عن انخراطه في ما مضى بأنشطة تسلل. وتمثل ذرائعه لدى دفاعه عن نفسه في وجه الحكومة الأميركية، في أنه يحصل على مواده بصورة شرعية وقانونية، وأنه لا يمكن مقاضاته. ويبدو أن الولايات المتحدة تعدّ لرفع دعوى ضد موقع ويكيليكس تصر فيها على أنه لا يتمتع بأية حماية تشمل المؤسسات الإعلامية، لأن موقع ويكيليكس لا يستلم وثائق مسربة فحسب، بل أنه يسرق وثائق – إذ إن أكثر من نصف الوثائق كان مسروقاً بالفعل. وهذا ما يضع موقع ويكيليكس في موقف حرج إزاء إعادة اختراع نفسه من جديد، بالتوكيد على أكثر جوانبه ملاءمة في تاريخه وفقاً لما تمليه القيود الراهنة. ومع ذلك فإن أولئك الذين تتبّعوا تاريخ المؤسسة أشاروا إلى أن الموقع نشر سنة 2008 بيانات كان قد حصل عليها أحد

³³ Bill Keller, 'Dealing With Assange and the WikiLeaks Secrets,' *The New York Times* January 26, 2011. <http://www.nytimes.com/2011/01/30/magazine/30Wikileaks-t.html?pagewanted=all>.

³⁴ أنظر مقدمة كتاب ألن رسيبردجر على الشبكة العنكبوتية <http://www.guardianbookshop.co.uk/BerteShopWeb/viewProduct.do?ISBN=9780852652398>.

المتسللين من البريد الإلكتروني الخاص العائد آنذاك للمرشحة لمنصب نائب رئيس الجمهورية الأميركية سارة بالين. ووفقاً لرواية نشرت في مجلة النيويورك الأمريكية The New Yorker في العام الماضي، يمتلك الموقع أيضاً بحوزته أكثر من مليون وثيقة استولى عليها أحد نشطاء ويكيليكس سنة 2006 بعد أن عثر عليها أثناء تصفحه موقع شبكة تور [Tor] وهو مشروع شبكة الجيل الثالث من التوجيه المشفر مجهول الهوية الذي صمّمه مختبر أبحاث البحرية الأميركية [المجهولة الهوية]. وتشير مجلة النيويورك إلى إن إحدى الوثائق مشروع تور على الأقل، قد تم نشرها على موقع ويكيليكس³⁵. ويؤكد موقع ويكيليكس قيامه بمثل هذه الأنشطة، في أحد بياناته (عبر التويتر) بتاريخ 31 أيار/مايو 2010 إذ كتب: "بعض وثائق الوكيليكس تمّ اقتناؤها بواسطة متسللين صينيين كانوا قد اختلسوها"³⁶. ونعلم في مكان آخر، "أن أحد نشطاء وكيليكس تمكن من الوصول إلى كمية من الوثائق الحكومية السرية حصل عليها متسللون صينيون. وقد تم سحب هذه الوثائق من شبكة تور."³⁷

الآثار السياسية الناجمة عن عمل ويكيليكس

وحتى مؤخراً، دأب جوليان أسانج على تعريف عمله بأنه مكرّس لوضع حد للتعسف الحكومي إذ قال "نعمل منذ سنة 2006 بمقتضى هذه الفلسفة التي تكشف عن المنظمات التعسفية.. والتي يجب أن تكشف على الملأ.. ليس هدفنا إرساء مجتمع أكثر شفافية؛ بل هدفنا تحقيق مجتمع أكثر عدالة. وفي معظم الأحيان، يقود كل من الشفافية والانفتاح إلى هذا الاتجاه، لأن الخطط والممارسات الظالمة تلقى مناهضة، وعليه، تواجه تلك المنظمات التي ترتكب تلك الممارسات معارضة قبل تنفيذ الخطة، أو قد لا تعدو المسألة كشفاً أو تعرية قديمة."³⁸

وكما ذكرنا في البدء، تُعد الوكيليكس مصادرها المجهولة الهوية بأن تحظى وثائقها بـ "زخم سياسي أقصى". ويبدو من خلال تصريحات أطلقها أسانج، أن نشر التسيريات مرادف للتغطية الإعلامية الواسعة. ولدى سؤال أسانج عما أنجزه ويكيليكس من خلال تسريب ما، لم يكن من المستغرب أن تتضمن إجابته الإشارة إلى عدد نتائج البحث ضمن أخبار غوغل Google والناجمة عن هذا التسريب³⁹.

وقد بدّل أسانج تصوّره إثر إصداراته للوثائق المسربة سنة 2010 والمرتبطة بوثائق الولايات المتحدة. ففي مواقف عديدة، نجده يقول بوضوح أن ويكيليكس تُعد بتحقيق أقصى زخم

³⁵ ³⁵ Kim Zetter, 'Claim: WikiLeaks Published Documents Siphoned Over File Sharing Software,' *Wired: Threat Level* January 20, 2011. <http://www.wired.com/threatlevel/2011/01/wikileaks-and-p2p/>

<http://twitter.com/wikileaks/status/15107062068>.

³⁷ Dave Gilson, 'WikiLeaks' Sketchy Origins: Did WikiLeaks get its start with online snooping?' *Mother Jones* June 2, 2010. <http://motherjones.com/print/62632>.

³⁸ 'TIME's Julian Assange Interview: Full Transcript/Audio,' *TIME Magazine* December 1, 2010.

<http://www.time.com/time/printout/0,8816,2034040,00.html>

³⁹ 'TIME's Julian Assange Interview: Full Transcript/Audio,' *TIME Magazine* December 1, 2010.

<http://www.time.com/time/printout/0,8816,2034040,00.html>

سياسي للوثائق التي تسربها مصادر ها.⁴⁰ وفي مواقف أخرى يتغير تصريحه ليصبح: "نعد مصادرنا بأن تحظى بعرض أقصى لموادها."⁴¹ لكن العرض الأقصى لا يعني بالضرورة أثراً سياسياً أقصى. ويدرك المرء أن ما يكمن خلف هذه التصريحات اعتقاداً بأن المعلومات هي قوة بحد ذاتها، وهذا اعتقاد يبقى مجرد إيمان أكثر منه مبدأ جدياً في التحليل السياسي. يوجز أسانج تمسكه بمقولة "المعلومات قوة" على النحو التالي: "إن من يمسك بمقالات خواديم servers الشبكة العنكبوتية يسيطر على الإرث الثقافي للجنس البشري، ومن خلال إمساكه هذا، فهو يسيطر على إدراكنا لمن نكون؛ وبسيطرته هذه، إنما يتحكم بالقوانين والأنظمة التي نستنها في مجتمعاتنا"⁴².

وأحياناً يعبر جوليان أسانج عن وجهة نظر تكاد تكون ميكانيكية في فهمها للتغيير الذي تحدثه المعلومات وذلك في توضيح صريح لمقولة "المعلومات قوة":

ان معظم الإصلاح السياسي الذي ما كان ليحدث في كل الأحوال مع أنه جزء من التطور الطبيعي، أي ضمن انسياب طبيعي للاقتصاد، فإنما حدث لأن شيئاً ما كان محظوراً، شيئاً ما كان مقيداً ومحجوباً عن الناس، وقد أطلق من عقاله عن قصد. ولو أنك تخيلت أن انتقالاً صغيراً حدث، مجرد انتقال صغير، بين المعلومات المحجوبة لأنها قد تسبب إصلاحاً سياسياً، وبين تسببها بإصلاح سياسي، فإن هذا الانتقال الصغير يحتاج فقط إلى قدر ضئيل من الطاقة. وعلى هذا النحو، فإنه يمكنك تحقيق أثر كبير بقدر ضئيل من الطاقة. ولو أننا قسنا على ذلك أننا لم نكن نتعامل فقط مع حالات فردية، وإنما مع صحافيين محددين، لاستطعنا انجاز الكثير من الإصلاح السياسي بكمية ضئيلة من الطاقة، أي قيمة رأس المال الذي كان بحوزتنا.⁴³

أعلن أسانج مؤخراً عن أثر أوسع لسلطة التسيريات. ففي مقابلة بثتها هيئة الإذاعة البريطانية، الإذاعة الرابعة، قال: "بالفعل، بدأنا نرى أننا غيرنا حكومات، وبالتأكيد فإننا غيرنا الكثير من السياسيين في الحكومات، وتسببنا في بذل جهود إضافية لإصلاح القوانين، وتسببنا بإجراء تحقيقات أمنية في الانتهاكات التي كشفنا عنها، تحقيقات الأمم المتحدة"⁴⁴. أما بالنسبة إلى الثورتين في تونس ومصر، فقد أدلى أسانج بسلسلة من التصريحات المختلفة بشأن أثر نشر برقيات الولايات

⁴⁰ أنظر على سبيل المثال

Press Association Reporters, 'This is about the truth, says Wikileaks founder,' *The Independent* October 23, 2010.

<http://www.independent.co.uk/news/uk/home-news/this-is-about-the-truth-says-wikileaks-founder-2114669.html>

وأيضاً:

Greg Mitchell, 'The Great Debate: Stephen Colbert vs. Julian Assange,' *The Nation* January 31, 2011.

<http://www.thenation.com/blog/158162/great-debate-stephen-colbert-vs-julian-assange>

⁴¹ 'Swedes Protect WikiLeaks, Hire Assange as Columnist,' *Rixstep*. <http://rixstep.com/1/20100814,00.shtml>.

⁴² Jonathan Foreman, 'The Wikileaks War on American,' *Commentary* January 2011.

<http://www.commentarymagazine.com/article/the-wikileaks-war-on-america/>

⁴³ Julian Assange, presentation at 'The State of Play,' the Fourth Annual Reva and David Logan Investigative Reporting Symposium, Berkeley Graduate School of Journalism, April 16-18, 2010.

http://fora.tv/2010/04/18/Logan_Symposium_The_New_Initiatives#chapter_03.

⁴⁴ Martin Bryant, 'Julian Assange sees himself as "A martyr without dying",' *The Next Web* December 21, 2010.

<http://thenextweb.com/media/2010/12/21/julian-assange-sees-himself-as-a-martyr-without-dying/>

المتحدة الدبلوماسية، والتي كانت تتضمن موقفاً إما يدعو إلى أولوية التغيير في البلدين، أو إلى دعمه وتأييده.

ويُدعى موقع ويكيليكس أنه كان مهماً بالنسبة إلى اندلاع الثورتين في تونس ومصر بأشكالهما وفي مرحلتهما المختلفة. وبدا أحياناً أن موقع ويكيليكس كان على تنافس مباشر مع وزارة الخارجية الأميركية من خلال ادعاءاته أنه كان أبعد نفوذاً.

وعلى موقع التحادث الخاص به (التويتز) تساءل الوكيليكس بإلحاح: "هل تمكن الوكيليكس من القيام بما لم تستطع الخارجية الأميركية القيام به؟ أنه الوقت لإعادة التفكير." ⁴⁵ ورداً على ذلك، وعلى الموقع نفسه (التويتز) علّق الناطق باسم الخارجية ب. ج. كراولي P.J.Crowley ببساطة: "تونس ليست ثورة "ويكية". وكان الشعب التونسي يعلم بالفساد منذ زمن بعيد. هذا الشعب وحده هو محقّ هذه المأساة المتكشّفة ⁴⁶. إلا إن موقع ويكيليكس ألحّ على ادعاءه السابق، مستوحياً دعمه من اقتباس ورد في مجلة "فورين أفيرز" Foreign Affairs الأميركية: "قدّمت الوثائق المسرّبة للديمقراطية العربية أكثر مما قدمته عقود عديدة من الدبلوماسية الأميركية مورست خلف الكواليس" ⁴⁷.

وفي وقت لاحق أضاف موقع ويكيليكس: "نعم قد نكون ساعدنا تونس ومصر" ⁴⁸. واقتبس الوكيليكس ⁴⁹ من استفتاء يشكّ في مصداقيته ليعلن أنه "في أعقاب سقوط نظام بن علي في تونس أعلن نحو ستين في المئة من المشاركين بأنهم مؤمنون بأن الوثائق المسرّبة اضطلعت بدور في الثورة التي اندلعت في تونس وفي الاحتجاجات التي عمّت دولاً عربية أخرى. في حين أعرب ما يفوق الستين في المئة منهم عن ثقتهم بأن الوثائق المسرّبة ستغيّر من مسلك الحكومات" ⁵⁰. وادعى نعومي وولف Naomi Wolf وهو مؤيد علني لموقع ويكيليكس من دون تردّد أو تحفظ، إن "الوثائق المسرّبة التي تتناول الفساد في تونس أشعلت مباشرة شرارة الانتفاضة في تونس" ⁵¹. وتبنّى موقع ويكيليكس هذا التصريح وبنّه إلى مؤيديه عبر التويتز ⁵². أما بالنسبة إلى مصر، فإن الأمور كانت أكثر تعقيداً بالنسبة إلى ويكيليكس – إذ أفرج عن وثائق مصر بعد ثلاثة أيام من بدء الاحتجاجات.

⁴⁵ على تويتز

<http://twitter.com/wikileaks/status/26076106343849984>.

⁴⁶ على تويتز

<http://twitter.com/PJCrowley/status/26679564868517889>

⁴⁷ على تويتز

<http://twitter.com/wikileaks/status/30468424735924224>.

⁴⁸ على تويتز

<http://twitter.com/wikileaks/status/31448923629420544>.

⁴⁹ على تويتز "سته من أصل عشرة أشخاص عرب، يقولون أن ويكيليكس أدت دوراً في الثورة التونسية

<http://twitter.com/wikileaks/status/37697898070282240>

⁵⁰ 'Majority in Arab world backs Wikileaks,' *The Peninsula* February 16, 2011.

<http://www.thepeninsulaqatar.com/qatar/142783-majority-in-arab-world-backs-wikileaks.html>.

⁵¹ Naomi Wolf, 'WikiLeaks, Revolution, and the Lost Cojones of American Journalism,' *Huffington Post* February 4, 2011. http://www.huffingtonpost.com/naomi-wolf/post_1667_b_817553.html.

⁵² على تويتز

<http://twitter.com/wikileaks/status/33956682098810880>.

وفي اليوم الأول الحاشد أُغلق الإنترنت في مصر. وعليه، تبنى موقع لويكيليكس وجهة بديلة كي يدّعي تأثيره. فأعلن، ومن تقديم أي إثبات، أن برقيات كانت تصل إلى مصر على الرغم من إغلاق الإنترنت: "تفيد التقارير التي يرسلها الناشطون من خلال الفاكس إلى مصر أن الوثائق المسرّبة اخترقت الحظر المفروض على الإنترنت"⁵³. لكن هذا الادعاء غير مقنع بتاتاً، ويفتقر إلى تأييد الناشطين المصريين على صفحته على موقع التويتر. ولذا اختار موقع ويكيليكس وجهة أقل مباشرة لادعائه القيام بدور طبيعي في الثورات. لذا أعلن أسانج: "يبدو فعلياً إن المواد التي نشرناها في صحيفة لبنانية هي "الأخبار" تركت تأثيراً كبيراً على تطوّر الأحداث في تونس. وعليه، فليس هناك من شك بأن تونس كانت المثال لمصر واليمن والأردن، وجميع الاحتجاجات التي اندلعت هناك"⁵⁴ ومنذ ذلك الحين، شهدت تصريحات أسانج تبديلاً طفيفاً – فلم يعد يدّعي المركزية – وفي درشة مباشرة مع الصحيفة السويدية "أفتونبلادت" Aftonbladet قال:

لا شك إن المجموعات المدنية والسياسية في الشرق الأوسط بأسره والصامدة منذ أمد طويل، هي الرافعة الحقيقية لهاتين الثورتين. إلا أننا حاولنا أن نؤدي دوراً في المنطقة منذ العام الماضي، ويهمننا أن نعبر، بصورة خاصة، عن فخرنا بعمل شريكنا الإعلامي المتمثل بصحيفة الأخبار في لبنان (والناطقة باللغة العربية)، إذ نشرت وثائق هامة كثيرة معتمدة على موادنا العربية. وقد قام نظام بن علي في تونس بحظر كل من صحيفة الأخبار وموقع ويكيليكس. ثم قام متسللون للحواسيب ومؤيدون لنا، بإعادة توجيه عدة مواقع حكومية تونسية إلى موقع ويكيليكس وبرقيات، لتعري حقيقة بن علي. في حين تعرّضت صحيفة الأخبار إلى ثلاث هجمات إلكترونية، ما أدى في نهاية المطاف إلى حجب موقع نشرها الإلكتروني. وتشير مهارة الهجمات إلى تورط الحكومات. وفيما بعد، عملنا مع صحيفة التلغراف البريطانية Telegraph إضافة إلى جهدنا الخاص، لنفضح بشراصة حسني مبارك (مصر) وعمر سليمان (مصر) والبحرين وليبيا.⁵⁵

⁵³ على تويتر

<http://twitter.com/wikileaks/status/31046777343836160>.

⁵⁴ Assange hails WikiLeaks role in revolt,' IOL News February 13, 2011. <http://www.iol.co.za/news/world/assange-hails-wikileaks-role-in-revolt-1.1025457>.

⁵⁵ 'Julian Assange Live Chat on Aftonbladet,' Jasparrilla February 24, 2011.

<http://jaraparilla.blogspot.com/2011/02/julian-assange-live-chat-on-aftonbladet.html>

ومؤخراً، عاد موقع ويكيليكس إلى دعم الحجج التي تؤكد دوره في "إشاعة القلاقل في الشرق الأوسط وشمال أفريقيا".⁵⁶ ومن جديد أعتقد أن مثل هذه التكتيكات السردية عادت تصدر عن موقع ويكيليكس إذ بات يرى نفسه محاصراً من قبل حكومة الولايات المتحدة، ويشعر بالحاجة إلى الدفاع عن نفسه بتعابير تعكس تماماً تلك التي تلجأ إليها الدولة الإمبراطورية نفسها حين تدعي إنها قوة تعمل في سبيل الخير في العالم. وما إطلالة أسانج اليوم أمام الرأي العام في مظهر يذكّرنا بمظهر رئيس وزراء بريطاني معاصر،⁵⁷ إذ هو يعقد مؤتمرات عبر الفيديو جالساً إلى طاولة خشبية⁵⁸، محاولاً تقمص شخصية رجل دولة،⁵⁹ إلا دليل آخر على هذا التحول باتجاه التيار السائد.

أما في ما يخصّ التغيير الذي حققه موقع ويكيليكس نتيجة بثه شريط فيديو يظهر جريمة الجنود الأميركيين في بغداد، فقد كتب ستيفن أفرغود Steven Aftergood في هذا الصدد نقداً جريئاً يقارنه فيه بنشر مجلة النيويورك لصور سجن أبو غريب:

ما هي البرامج الحكومية الأميركية التي أُلغيت نتيجة أنشطة موقع ويكيليكس؟ ما هي السياسات الحكومية التي عدلت؟ كيف تغير الخطاب العام؟ والمقارنة بليغة بين نشر موقع ويكيليكس شريط فيديو لهجوم مروحية الأباتشي في العراق في نيسان/أبريل الماضي من ناحية ونشر مجلة النيويورك لصور فضيحة سجن أبو غريب في مقالة لسيمور هيرش Seymour Hersh في أيار/مايو 2004 من ناحية أخرى. ففي التسريبيين، بُثت صور تثير الانزعاج البالغ. واشتمل الاثنان على سجلات حكومية سرية، وأثار الاثنان نقمة الرأي العام. إلا إن أوجه الشبه تنتهي عند هذا الحد. إذ تجدر الإشارة إلى أن صور سجن أبو غريب قد أفضت إلى دعاوى قضائية وجلسات لجان نيابية ومحاكم عسكرية وأحكام بالسجن ومبادرات لإفشاء المزيد من الملفات السرية، كما أدت على الأقل، وبصورة غير مباشرة، إلى إعادة النظر في سياسة الولايات المتحدة في ما يتعلق بالتعذيب والتحقيق. في حين أن شريط الفيديو بشأن جريمة الجنود الأميركيين في بغداد الذي نشره موقع ويكيليكس وكان يحمل عنواناً منحازاً "جريمة جانبية"، لم يؤد إلى أي من تلك النتائج – لا تحقيق على الإطلاق (سوى تحقيق مسرّب) ولا جلسات لجان نيابية ولا دعاوى قضائية ولا تقييد على قوانين التعامل مع المدنيين. صدر فقط توبيخ فاتر عن وزارة الدفاع ونجم عن ذلك دفع هائل من الدعاية لموقع ويكيليكس.. وفيما كان اهتمام العالم بأسره تحت أمرته لعدة أيام في نيسان/إبريل الماضي، فد كان في

⁵⁶ على تويتر

<http://twitter.com/wikileaks/status/41265369834471424>

في سياق متصل، أنظر غرغ ميتشل Greg Mitchell

'Is WikiLeaks Driving Unrest in the Middle East and North Africa?' *The Nation* February 25, 2011.

<http://www.thenation.com/audio/158857/wikileaks-driving-unrest-middle-east-and-north-africa>.

⁵⁷ 'Assange a revolutionary in pinstripes,' *Sydney Morning Herald* February 10, 2011.

<http://www.smh.com.au/executive-style/culture/assange-a-revolutionary-in-pinstripes-20110210-1aoc0.html>

⁵⁸ أنظر

'Wikileaks Roundtable,' February 7, 2011. <http://www.wikileaksroundtable.org/live>.

⁵⁹ أنظر أمثلة لذلك في

David Leigh, 'It's Julian Assange's own "tizzy" that bamboozles,' *The Guardian* February 24, 2011.

http://www.guardian.co.uk/commentisfree/2011/feb/24/julian-assange-tizzy-important-work?CMP=tw_t_gu

إمكان موقع ويكيليكس القيام بالكثير لإلقاء الضوء على ضحايا ذلك الحادث الذي وثقه، ولربما كان في استطاعته أيضاً إنشاء صندوق خيري لمساعدة أهالي الضحايا. لكن لم يكن ذلك خيار موقع ويكيليكس. وبدل ذلك، انصبّ الاهتمام على موقع ويكيليكس نفسه وجهوده الطامحة إلى جمع الأموال الخاصة به.⁶⁰

موقع ويكيليكس كوسيط إعلامي جديد

شهد موقع ويكيليكس تحولاً آخر طرأ عليه، مع أنه ليس جديداً كلياً، ألا وهو دوره المتنامي بوضوح كوسيط إعلامي يتمتع بمصالح اقتصادية، يتاجر بالمعلومات بأصنافها كلها، ويهتم بدرجة أقل بالمصدر المفتوح. وقد عبّر أحد المعلقين عن ذلك بما يلي:

على الرغم من كل تطرفه، يعتمد موقع ويكيليكس الفرضية الاقتصادية نفسها التي تعتمدها وسائل الإعلام: إن المعلومات ثمينة. ولكن قد لا يرتبط الهدف النهائي لأسانج، مباشرة بالقيمة ذاتها التي ترتبط بها صحيفة الغارديان، إلا إن قيمته مرتبطة بالتفرد والحصريّة، أو على الأقل بشهرته كونه يفشي الأسرار. ولا شك أن إغراق السوق بالأسرار، كما يدعي موقع ويكيليكس إنه ينوي القيام به، يشكل خطراً كبيراً على الحكومات وإلى حد أقل على وسائل الإعلام التقليدية. ولكن ربما بدأ أسانج يدرك أن ذلك ليس بالضرورة لمصلحته.⁶¹

وبدأ موقع ويكيليكس يتبنى منحى أكثر تعاوناً بإدعائه ملكية صريحة لوثائق تؤمن للعموم مجاناً. ونشرت مؤخراً مجلة فانيتي فير *Vanity Fair* تفاصيل تهديد أسانج بمقاضاة شريكها الإعلامية الغارديان، إثر قيام أحدهم بتسريب البرقيات الدبلوماسية الواردة إليها، مطلقاً يدها في نشر أية اتفاقية نشر من دون إذن من أسانج كان ملزماً وفقاً للاتفاقية بين الطرفين. وورد أن أسانج أكد أنه "يمتلك المعلومات وله مصلحة مالية في كيفية نشرها وتحديد توقيت نشرها."⁶² في السابق، عرض موقع ويكيليكس وثائقه للبيع، عارضاً المراسلات الإلكترونية للحكومة الفنزويلية بالمزاد العلني.⁶³ وفي السياق ذاته، قام موقع ويكيليكس في العام الماضي بحجب أي اتصال بموقعه إلى حين يتم جمع ستمئة ألف دولار أميركي من الجمهور لقاء وثائق – موجهة للرأي العام – قبل أن يتيح لها الإطلاع عليها ثانية (وقد تم الآن توثيقها).⁶⁴ وعليه، يتهم البعض موقع ويكيليكس بالاحتفاظ بالمعلومات وكأنها رهينة – عبر أخذها بالشعار "حان الوقت لفتح الأرشيف"، لكنه لا يقوم فعلياً بفتح المحفوظات على مصراعها لنا جميعاً. ويتباهى الموقع بأنه يجلس على كنز دفين مليء بالوثائق، إلا أن الوعود

⁶⁰ Steven Aftergood, 'Wikileaks Fails "Due Diligence" Review', *Secrecy News*, June 28, 2010.

http://www.fas.org/blog/secrecy/2010/06/wikileaks_review.html

⁶¹ Charles Homans, 'Julian Assange and the journalists', *Foreign Policy* January 6, 2011.

http://wikileaks.foreignpolicy.com/posts/2011/01/06/julian_assange_and_the_journalists.

⁶² Sarah Ellison, 'The Man Who Spilled the Secrets', *Vanity Fair* February 2011.

<http://www.vanityfair.com/politics/features/2011/02/the-guardian-201102>

⁶³ Ryan Singel, 'Latest Wikileaks Prize for Sale to the Highest Bidder', *Wired: Threat Level* August 27, 2008.

<http://www.wired.com/threatlevel/2008/08/wikileaks-aucti>

⁶⁴ Dave Gilson, 'What the WikiLeaks Media Blitz Has Revealed About WikiLeaks: The whistleblower site can be as prickly about unwanted disclosures as any of its powerful targets', *Mother Jones* April 13, 2010.

<http://motherjones.com/print/53846>

بنشر الوثائق تفوق أضعاف ما يتم نشره. ومنذ آب/أغسطس 2010، ما زلنا ننتظر نشر 15000 وثيقة مرتبطة بالحرب في أفغانستان – إلا إن موقع ويكيليكس لم يعد يذكرها على الإطلاق. ولم يعد يشير أيضاً إلى وعده بنشر شريط فيديو لغارة جوية قامت بها قوات حلف الأطلسي في أفغانستان، ونجم عنها مقتل عشرات المدنيين. أما في ما يتعلق بانتظار نشر الملقّات الروسية، فيقول أسانج الآن، "ليس صحيحاً القول بأنه سيكون هناك اهتمام خاص بروسيا"،⁶⁵ في حين أنه صرّح سابقاً بقوله "أن موقع ويكيليكس بات مستعداً لإلقاء قنبلة على روسيا".⁶⁶ وقد نشر موقع ويكيليكس "ملف تأمين"، ولكن من دون مفتاح الشفرة، ليقرّر وحده إن كان يحقّ للرأي العام المعرفة ومتى يحقّ له ذلك. وبات هذا الحقّ اليوم امتيازاً محدوداً.

الخلاصة

لم يكن الغرض من هذه الورقة التوكيد على أحكام أخلاقية تبسيطية تدعي بأن موقع ويكيليكس "كاذب" إلى حدّ ما، أو أنه لدى مواجهته لنتائج سوء أحكامه "فأنه يرتدّ على نفسه أو "يناقضها". من السهل إطلاق هذه التفسيرات، إلا إنها ليست سوى بدائل واهنة عن الشرح. أما ما قصدت قوله فهو، إنه كان على استراتيجيات موقع لويكيليكس وتكتيكاته أن تتسمي مجزأة ومشرذمة بصورة متنامية إذ وجد الموقع نفسه متحالفاً مع مؤسسات الإعلام السائدة، وإن كان ظل محتفظاً بأولوياته وبأهدافه وبالذفاق عن مكانته متى وجد نفسه في صدام مباشر مع مؤسسات حكومية قوية تعمل على نطاق أوسع من نطاق ويكيليكس. ولأنه انفتح ليشمل مصالح شتى باتت مكتسبة في تسريباته، اضطر موقع ويكيليكس للاستجابة لمختلف القراء والمحاورين وللتكيف معهم. وبعد أن كان قد بدا في وقت مضى أنه " فوضوي يعتمد على التكنولوجيا"، فما هو اليوم قد أصبح أكثر ليبرالية.

ويكمن الخطر في كون هذه الثورة التي تحركها المعلومات، قد تتحوّل إلى ابتزاز يتمحور حول المعلومات، في خدمة إعلام حصري يمارس هيمنته على ما يُنشر وبأي شكل ينشر. فكان أن وجد موقع ويكيليكس نفسه متناغماً أكثر فأكثر مع شركائه الإعلاميين، خشية أن يفقد هالة تحميه من الاعتقاد السائد بأنه مؤسسة إعلامية قائمة بذاتها. وبات هذا بنداً أساسياً في إستراتيجيته الدفاعية التي يشهرها في وجه الاتهامات والتهديدات التي توجهها إليه الحكومة الأميركية.

ومع الوقت أصبح لزاماً على موقع ويكيليكس أن يعيد اختراع نفسه ويعيد تصميم ذاته متحرّكاً باتجاه مزيد من المركزية والبيروقراطية والشرعية والتمويل، فأعلن ادعاءات تملك معلومات مقصودة للاستهلاك العام، إضافة إلى شخصنة القيادة. وتنعكس هذه التغييرات في التبدّل الروتيني في مظهر موقع ويكيليكس نفسه، إذ لم يعد يشبه مواقع "الويكي" على الإطلاق.

⁶⁵ Andy Greenberg, 'An Interview with Wikileaks' Julian Assange,' *Forbes* November 29, 2010.

<http://blogs.forbes.com/andygreenberg/2010/11/29/an-interview-with-wikileaks-julian-assange/3/>

⁶⁶ على تويتر

<http://twitter.com/wikileaks/status/28800256698>

وبعد أن بدأ موقع ويكيليكس منبوحاً يمثل صرخة ضمير، بات يطالب بحضور علني مضاعف وباحترام أوسع بالإضافة إلى رغبته بأن يحظى بمزيد من الاعتراف والشرعية، ما أدى به جزئياً إلى الارتقاء في أحضان وسائل الإعلام التقليدية وجعله في نهاية المطاف يُدرج ضمن التيار السائد. لذا تبدو الدعوة إلى أن يعمل موقع ويكيليكس "من ضمن النظام"، غير واقعية أساساً مقارنة بما حدث فعلياً. فما أن بات موقع ويكيليكس ضمن التيار السائد، حتى ظهرت فجأة عدة مواقع تسريب أخرى، فيما شجب آخرون موقع ويكيليكس إذ رأوا فيها وهناً متنامياً ومساومة متزايدة. وفي هذه الأثناء، يبدو إن موقع التسريبات المفتوحة OpenLeaks الذي أنشأه منشقون عن موقع الويكيليكس، وكأنه يميل إلى أخذ أقصى أنواع الحيطة والحذر. فهو حريص على عدم إغضاب أحد، ومعني بالأبواب يتبنى أي موقف سياسي، ولا يرغب في نشر الوثائق نفسها— إذ يترك للناس أن يتساءلوا أن كان يخدم هدفاً قيماً على الإطلاق.

صحيح إن موقع ويكيليكس قد بدّل الصحافة، إلا إن ممارسات الوسائل الإعلامية المتعددة الجنسيات قد أعادت هي أيضاً تصميم موقع ويكيليكس إذ حولته إلى حارس إعلامي يقرّر أية معلومات نستطيع رؤيتها ومتى. وهذا لم يعد مصدراً مفتوحاً. وفي الوقت نفسه، تضاعفت التوقعات العامة في أن يكشف الإعلام السائد "الحقائق" المزعجة التي تتضمنها التسريبات التي يطلقها المبلغون عن الانتهاكات والمخالفات. وتخضع الحقائق اليوم إلى تدقيق نقدي جديد من قبل رأي عام بات أكثر إدراكاً للعلاقات التي تربط بين الإعلام وسلطة الدولة. ويعكس إنشاء وحدة الشفافية في قناة الجزيرة ونشرها "الأوراق الفلسطينية"، هذا التحول الذي طرأ على المشهد الإعلامي. والآن، يدرس كل من صحيفة الغارديان ومجلة النيويورك إن كان تأسيس خدماتهما الخاصة بالتسريبات. صحيح أن مهنة الصحافة تبدلت، إلا إنها لم تصبح بعد صحافة المصادر المفتوحة.

وأخيراً، فإن هناك اعتقاداً شائعاً يجب أن يخضع للتحليل النقدي، وهو الذي يتمسك بمقولة "المعلومات قوة"، ولاسيما لدى مراجعتنا النقدية للتسريبات ولآثارها السياسية الفعلية على الرغم من أن موقع ويكيليكس نفسه بدأ مؤخراً يدعي بأن الفضل في انتفاضة في تونس يعود إلى البرقيات التي نشرها. في حين أن مجمل البرقيات المسربة كانت مجرد شرائح محدودة من مخزون وثائق هائل – مهما تمكنت مصادره من جمعه وبنه. وعلاوة على ذلك، فإن الكثير من الوثائق الموعود بنشرها لم تظهر. كما أنه ضمن الوثائق المنشورة أو ضمن تلك التي هي في طور الصدور، تم إخضاع الوثائق لعملية تحرير فائقة حتى فقد معظمها الفائدة في حال البحث المتقدم. وقد حجبت في حالات أخرى بحجة إنها "تدميرية جداً". ومع ذلك فما هو ليس واضحاً، كونها تدميرية بالنسبة إلى من، وما هي الأسس المعتمدة لهذه الأحكام أو ما هي الانتقائية النخبوية الواضحة المعتمدة في تحديد أن وحده أسانج وشركاءه الإعلاميين المصطفين يحق لهم معرفة الحقيقة.

تبقى الشفافية هدفاً مراوفاً ومبهماً. في حين إن العدالة لطلما كانت غائبة – وهذه حالة بارزة في الولايات المتحدة بصورة خاصة، وتفاعضها الدائم لا بل صمتها المطبق في ما يتعلق بمقاضاة حالات التعذيب والتعذيب بالوكالة، التي تحفل بها وثائق الحرب في العراق. وتعاني محاولة تحدي رواية الولايات المتحدة الرسمية "للحقيقة"، من مشاكل منهجية وتفسيرية جمة، إذ تستخدم وثائق

صادرة عن القوات الأميركية نفسها، ومكتوبة خصيصاً لأغراض أميركية لجمهور أميركي نخبوي. ولا تعود المسألة تقتصر على كون التفسير أهم من المعلومات الخام، بل تشمل من له اليد الطولى في جعل تلك التفسيرات راسخة. وقد شكك، في بعض الحالات، الشركاء الإعلاميون لموقع ويكيليكس، وأهمهم الجزيرة والغارديان، في مصداقية بعض وثائق الحرب وحقيقتها.

إلا إن ما يبقى مفتوحاً أمام النقاش، هو في ما إذا كان موقع ويكيليكس قد استشرّف في بدايته، شكلاً بديلاً لنشاط مصادر المعلومات المفتوحة الذي يتوجّب تجديده أو تحصينه بأخرين يقودونه. يستطيع المرء تصوّر مؤسسات غير مركزية ومشتتة ولا شخصية، وعلى الأرجح إنها منظمة غير شرعية تنخرط بحرب معلومات – تنشر تسريبات ولكنها تسرق معلومات أيضاً متى كان ذلك ممكناً، أي التسلل في سبيل منفعة الإنسانية ضد الإمبراطورية.